الوظيفة التأثيريّة في الخطاب الصحفيّ

د. محمد بسناسي*
جامعة ليون -فرنسا

Abstract: Creating an effect in the receiver is part of the functions of the language. On its side, pragmatic theory has made it one of the principles of discursive production. Communication theories have also paid attention to the effectiveness of the media. In the current work, we will focus on the representations of effectiveness in the Algerian journalistic discourse. In order to do this, we will examine the quality of the journalistic language that can have a positive or negative impact on the receiver's linguistic level. In any case, journalistic discourse is able to stimulate linguistic interactions, particularly through the use of translation. We will end up dealing with some communicative mechanisms such as exaggeration, provocation and the use of vocabulary referring to violence. These mechanisms are means by which the addresser attracts the interest of the receiver and seeks to have its feedback.

Keywords: communication, translation, effectiveness, discourse, interactions, addresser, receiver.

توطئة: أضحى الخطاب الصحفيّ من أكثر الخطابات شيوعا ورواجا في الوقت الرّاهن؛ فمعطيات الحياة مشدودة أكثر ممّا مضى بالإعلام، وما يُذَاعُ من أخبار وأحداث تهمّ الفرد والجماعة على حدّ سواء، وما ضاعف من حجم رواج الخطاب الصحفيّ تطوّر الوسائط التقانيّة، التي تنقل وتخزّن وتسنح بنشر الخطاب، مسموعا كان أم مكتوبا. ورُوّاد شبكات التواصل الاجتماعي، يقومون بتبادل الخطاب الصحفيّ، والتّعليق عليه، إذ لم يعد المتلقّي مجرّد قارئ أو مستمع أو مشاهد فحسب، وإنّما أصبح في عصرنا الرّقمي مشاركا، وفاعلا وباثّا لخطاب محايث للخطاب الصحفيّ.

ولمّا تشوّفت الدول والأنظمة الحاكمة خطورة في وسائل الإعلام وما هي خليقة بالتّرويج له؛ حدث أن عَوَّلَت عليها لتبليغ مشاريعها العقديّة (الإيديولوجيّة)، وسيطرت أجهزتها لفترات طويلات على عنصر الإعلام بمراقبته، وتوجيهه؛ فاتّسم الخطاب إذ ذاك بالتبعيّة، والتحيّز، والخضوع. واستُعْمِلَ الخطابُ الصحفيُّ بغرض الدعايّة لهذا المشروع أو ذاك، أو لتسويغ حرب من الحروب بشحذ الرّأي العام، إذ عُدَّ الجانب النّفسيّ عاملا حاسما لكسب تّأييد الجماهير ودعمها، وللرفع من معنويات الجيوش المقاتِلة، دون نسيان أنّ الخطاب السياسيّ كان يعوّل من جهته على وسائل الإعلام لبسط تيّاره وبرامجه، من أجل الفوز بقلوب المتعاطفين واستمالة أتباع جدد.

ومن ثمّ، يتراءى أنّ الخطاب الصحفيّ تطغى بخاصّة على وظائفه وظيفة التّأثير، وغايتها ترك أثر في نفسيّة المتلقّي، من خلال حمله على قبول أفكار معيّنة، وشحذ مشاعره النائمة، وإحداث تغيير في مواقفه ورؤاه. ولا غرو أنّ هذه الوظيفة

لازالت إلى الآن كامنة في متون الخطابات الصحفيّة ومضامينها، وإن بتفاوت ومستويات، فكيفما كان لون الخطاب أو نهجه الذي يسبح في فلكه -إذ تتغاير توجهّات وسائل الإعلام وقنواتها تبعا لتنوّع المشارب المذهبيّة والانتماءات السيّاسيّة والخطوط الافتتاحيّة-؛ فإنّ القصد من الخطاب هو التّأثير في المتلقّي، وحمله على التورّط بطريقة أو بأخرى فيما تمّ التطرّق إليه من مواضيع وجدالات، وفيما تمّ طرحه من نقاشات وأفكار ودعايات. ومن نواتج حصول التّأثير وتحقيقه، أنّ المعلومة الصحفيّة لم تبق مجرّد خطاب يجيء من باثّ (موجب) إلى متلقي (سالب)، بل غدا متلقّي المتن الخطابيّ يتفاعل ويتأثّر ويبادر بالاستجابة؛ فيبوح عن مواقفه، ويفصح عن نظراته، ويتحدّث عن أفكاره ولا سيما على الشابكة، استنادا إلى ما توفرّه اليوم من منتديات تفاعليّة، وفضاءات تحاوريّة، ومساحات نقاش وقنوات للجدال.

وفي بحثنا هذا سنعالج مسألة التّأثير من وجوه متباينات، منها ما يتمظهر في الجانب اللغويّ؛ لذلك سنرصد ما يزخر به الخطاب الصحفيّ من إيجابيات تخدم اللغة والمعجم، وتعود بالنّفع على رقيّ أساليب العربيّة، وسنتطرق كذلك إلى ما هو خليق في المنجز الكلاميّ الصحفيّ بممارسة تأثير سلبيّ من ناحيّة التّرويج للحن، وإشاعة أساليب تبتعد عن الفصاحة، وسنتعرّض لبواعث هذا الضّرب من التّأثير السلبيّ. ومن ثمّ فتسليطنا الضّوء على الوظيفة التّأثيريّة سيكون في سياق عام؛ أي دراسة التأثير والوسائل التي يتكّئ عليها، وتمظهراته في اللغة والآثار التي يتركها إيجابا أو سلبا في لغة المتلقّي.

وسنخوض في مسألة تأثير الخطاب الصحفيّ في نسق التّعبير اللسانيّ، بما يقحمه من مقترضات وعبارات محاكية لمتواليات خطابيّة أجنبيّة، لا سيما لمّا يعوّل البّاث على التّرجمة؛ فإنّه يروّج لقطاعات كلاميّة دخيلة عن اللسان العربيّ. كما أنّ التّأثير قد يصبو إلى التّرويج إلى اتجاه فكريّ ما وإحداث تغيير في سلوك ومواقف المتلقّي، ولتحقيق التّأثير باستمالة المتلقّي واستثارة استجابته، يعوّل البّاث على بعض الآليات من قبيل الإثارة، واللغة الحربيّة، والمبالغة. لذا، سندرس أهم هذه الآليات التي يستند إليها الخطاب الصحفيّ لبلوغ مآربه التّأثيريّة، ومبعث هذا الاهتمام أنّ الخطاب قد يتوسّل حتّى بدوال محيلة إلى العنف لجذب انتباه المتلقّي، وخلق نوع من الشحن لديه لاستقطاب تتبّعه، وإثارة استجابته.

1-سمات الخطاب الصحفيّ: ينبغي التّنويه أنّ الخطاب الصحفيّ ليس بالأصيل في الثقافة العربيّة، وإنمّا هو من إفرازات التماس العربي/الغربي خلال فترة النّهضة، وفي مجال الصحافة فالملاحَظُ أنّ "مصر سبقت سواها فيها"[1]، لا سيمّا بعد أن التفت محمد علي إلى الاستعانة بوسائل الطباعة، وكان ذلك سنة 1821م، إذ عُوّلَ عليها بخاصّة من أجل "نشر الأوامر الرسميّة، و[كان] اسمها المطبعة الأهليّة، أو مطبعة بولاق، وكان يقال لها كذلك مطبعة الباشا"[2]، واستعملت هذه المطبعة فيما بعد في طبع جريدة (**الوقائع المصريّة**) سنة 1828م، التي تمثّل أولى الجرائد العربيّة، وأعقبتها من حيث الأقدميّة "جريدة المبشّر التي أصدرتها الحكومة الفرنساوية في الجزائر سنة

1847"[3]، وأخذت الجرائد والصحف في الرواج عربيّا شيئا فشيئا، واتّسعت مجالاتها، وكثر قراؤها، وما لبثت أنْ حقّقت نجاحا باهرا في الأوساط الجماهيريّة، لاسيما بعد استقلال الدول العربيّة، وتطوّر التّعليم وتعميمه، وبدايات تقهقر نسب الأميّة.

وإنّ التلقّي اليوميّ للخطاب الصحفيّ، جعل منه خطابا مألوفا ومعهودا. كما أنّ القنوات الإعلاميّة تنزع أكثر من أيّ وقت مضى إلى التعدّد والتنوّع وعدد لا بأس به يميل إلى التخصّص في ميادين بعينها، وكلّ القنوات والوسائط الإعلاميّة تأخذ على عاتقها بثّ رسائل إعلاميّة، وتواصلها يَتِّمُ مع المتلقّي بواسطة اللغة منطوقة كانت، أم مكتوبة. ولكي يتحقّق التواصل الذي يجمع طرفي العمليّة التداوليّة؛ أي بين البّاث والمتلقّي، يلزم أن تكون لغة الخطاب شفّافة، وواضحة وإلاّ لانتفى التفاهم؛ لذلك يتّسم الخطاب الصحفيّ بجملة من السمات، مثل بساطة اللغة، وتواتر صيغها وألفاظها، من أجل بلوغ المرام التداوليّة، وتحقيق الغايات الاتصاليّة مع الجماهير المتلقيّة لرسائله.

ولمّا كان الخطاب الصحفيّ يصبو إلى تقديم منجز كلاميّ لعموم القرّاء، والمتتبعين، بغية إيصال مضامين متعدّدة الجوانب (سياسيّة، اقتصاديّة، دينيّة، رياضيّة، اجتماعيّة، إعلانيّة، الخ)؛ فقد اتكأ على لغة تطغى عليها السهولة المعجميّة، ووضوح التراكيب، وتحاشي التّعقيد والغرابة، وهجر التّنميق اللّفظيّ، والابتعاد عن التّطويل. "وصار الإنشاء الصحافيّ على إجماله واضحا مقسّما مُبَوَبًا، خاليا من المقدمات والخاتمات، بلا تسجيع ولا تروية أو تفخيم"[4]، وحتّى شَكْلُ الإخراج الطباعيّ، في الصحافة المكتوبة، يأخذ منحى الأعمدة، تحريّا للاختصار، باستثناء ربما المقالات التي تعنى بالخطاب الدينيّ والثقافيّ؛ إذ تنزع عادة إلى التّفصيل وتحبّذ شيئا من الاستفاضة.

2-طبيعة الوظيفة التأثيريّة في الخطاب: في المعنى المعجميّ، نلفي في **(المنجد في اللغة والأعلام)**: "تأثّر وائتثر منه وبه حصل فيه أثر منه فهو متأثّر"[5]، وفي هذا الحدّ اللغويّ، نلمس تركيزا على نواتج حدوث التأثير.

وفي حقل تحليل الخطاب، ولاسيما من وجهة نظر تداولية، يُنظَرُ إلى مبدأ التّأثير على أنّه من بين المبادئ التي يثوي عليها عمل التواصل اللغويّ، و"يحدّد هذا المبدأ عمل اللغة بأنّه عمل تبادل بين طرفين يقرّ بأنّ ما يحفّز قصديّة الذات المتكلّمة يندرج في غائيّة عمليّة أو نفسيّة تحمل أطراف التواصل على إنتاج خطابات تهدف إلى أن يكون لها مفعول على الطرف الآخر"[6]. بهذا المفهوم يرتبط التأثير بما يحرّك الذات البّاثة للخطاب، من قصد وتعمّد، في ترك مفعول في نفسيّة المتلقّي.

وغائيّة التأثير متضمَّنة بين ثنايا الخطاب أو الرسالة التي يتلقّفها المتلقّي؛ ذلك أنّ "التواصل سيرورة تتغيا نقل رسالة من مصدر إلى وجهة بواسطة شفرة"[7]؛ فالبّاث يشفّر خطابا ويرسله إلى المتلقّي الذي يستقبل النصّ المشفَّر، ويحاول تفكيكه من أجل الفهم. وفي نظرية وظائف اللغة، يجعل رومان ياكوبسون -من جملة عناصر التواصل-الوظيفة التأثيريّة متعلقّة بعنصر المرسَل إليه، ومن منظوره "تهدف إلى إنتاج تغيير لدى المتحدَّث إليه (أباركك أو أخرج من هنا)"[8]؛ فما شاكل

هذه المتواليات الخطابيّة، ترمي إلى إعمال تأثير نّفسي أو حمل المخَاطَب على تبنّي ضرب من السلوك. "أمّا المرسل إليه، فهو المخاطب الذي تُوَّجَهُ إليه رسائل المتكلّم ... بغية إقناعه أو التّأثير فيه أو إثارة انتباهه سلبا أو إيجابا"[9].

ولا ريب أنّ حصول التّأثير يتغاير بين المتلقّين من واحد إلى آخر، وفق المستوى الثقافيّ والاجتماعيّ، ودرجة الانفعال النّفسيّ، والقدرة على التّمحيص والتّفكير، والخلفيّة المرجعيّة الشّخصيّة، وقد يكون التأثير عاطفيّا؛ أي يستهدف استثارة مشاعر من شاكلة (الحقد، الفخر، التعاطف، الخوف، الفرح...)، وقد يروم توجيه السلوك والمواقف مثل (اعتناق مذهب دينيّ، التعصّب إلى تيّار سياسيّ، التصدّي لعدو، التزام مواقف معتدلة، الحضّ على التضامن وتقديم يد العون للآخرين، تثقيف الفرد وتنويره، الدّفع به إلى استهلاك منتوج ما من خلال الدعايّة ...إلخ).

إنّ التّركيز على التّأثير لديه ما يبرره في السياق الإعلامي؛ فغير خاف أنّ أهداف وسائل الإعلام مقترنة بالربحيّة، "حيث تُستخدَم الوسائل الإعلاميّة لتحقيق هدف وحيد وهو جني الأرباح"[10]؛ ولذلك يترع الخطاب الصحفيّ المكتوب مثلا بالرموز والأيقونات والصور، والكاريكاتير، وغنيّ عن البيان مثلا ما أحدثه ما سُمِّيَّ بالرسومات الكاريكاتوريّة حول الرّسول بالدانمارك من ضجّة، وما نجم عنها من تأثيرات عالميّة، وما أحدثته من ردود أفعال طالت العالم الإسلامي الذي تشوّف فيها إساءة بائنة ومبيَّتة، ومن مواقف غربيّة نظرت إليها من منظور حريّة الرّأي والتّعبير.

ومن دعائم التّأثير التّسجيلات الصوتيّة، والفيديو، والمبالغة، والإثارة، واللعب بالصيغ اللغويّة، والتّضخيم، والتّهويل، والاستعانة بالدارجة المحكيّة، واستخدام الأقوال المأثورة، وتتكّئ كذلك الخطابات الصحفيّة على الأمثال والحكم الشعبيّة، لما لها من وقع خاص في سيرورة التلقّي، وما تخلّفه من أثر في تقويّة حجيّة الخطاب المكتوب أو المقروء، "وكلما تمكّن القائم على الاتصال من توظيف تلك القوالب كلما حقّق نجاحا أكثر، فالأمثال والشعارات ولغة الخطاب اليومي تزيد من فعالية الاتصال، وتأثيره على الجمهور"[11].

3-بواعث التّأثير اللغويّ السلبيّ للخطاب الصحفيّ: إنّ الخطاب الصحفيّ يتّكئ في تقديم مضامينه الإعلاميّة على اللغة؛ بيد أنّه من فرط تركيز البّاث اهتمامه على نقل فحوى الخبر بالدرجة الأولى، واحتكامه لعاملي السرعة والتسرّع؛ فقد تؤدّي هذه الإكراهات إلى تضعضع متن الخطاب لغويّا، وقد تفضي مقتضيات الطباعة اليوميّة والتسابق مع الزمن، وما ينجرّ عنه من ضغط تحضير الخطاب وإعداده، إلى المحيد عن الدقّة اللغويّة، وعدم مراعاة سلامة الأسلوب والعبارة والتراكيب، وقلّة الانتباه للمستوى النّحويّ، ناهيك عن تعثّر الاختيار اللّفظي والمصطلحيّ، وإذا كان الخطاب الصحفيّ مترعا بالأخطاء؛ فقد يؤثّر بالسلب في تداولها بين المتلقّين، وإشاعتها في الاستعمال بدون تثبّت.

وشدّة رواج الخطاب الصحفيّ، قد تفضي، إذا، إلى الحمل على ترسيخ ممارسات لغوية سواء كانت كتابيّة أو شفهيّة، قد يتشوّفها البعض أنّها لا ترقى إلى المستوى الفصيح؛ لذلك يعاتب الكثير من أساتذة الجامعات طلبتهم نتيجة وقوعهم تحت تأثير لغة وأساليب الصحافة. وإذا بقينا في غمار المستوى اللغوي، فالصحفيّ مسؤول عن الأخطاء التي يرتكبها، إذ المادة الإعلاميّة، يتّم تقديمها في سياق منجز كلاميّ، والصحفيون في الغرب مثلا يتحاشون الوقوع في الغلطات الإملائية والأخطاء النّحوية؛ ذلك أنّ اللغات الأوربيّة تقدّس الجوانب المكوّنة للغة من أساليب، وإلقاء، ومعجم، ونحو...الخ. والحقّ، تُعَدُّ اللغة أداة من أدوات الصحفيّ، ينبغي أن يتحكّم فيها لكي يتيسّر له أداء رسالته الصحفيّة على أحسن وجه ممكن، وأيضا حتّى يتحاشى إحداث تأثير سلبي على من يسمعه أو يقرأ له، لا سيمّا إنْ كان المتلقّي غير حاذق لدقائق اللغة وأسرارها.

ويدلّ استشراء الأخطاء اللغويّة على خلوّ القنوات التلفزيونيّة، وحتّى الجرائد من مصححّين لغويين، يدققون في مختلف المستويات اللسانيّة التي تشكّل محتوى الخطاب الصحفيّ. وغالبا ما تُنعت الصحافة بأنّها تروّج للأخطاء، ولا تتحرّى السلامة اللغويّة. وهنا محلّ تناقض بالنسبة لوسائل الإعلام، فمن جهة تحاول أن تتقمّص ثوب هيئة مؤثّرة وفاعلة، إذ غالبا ما تُنعت بالسّلطة الرابعة، ومن جهة أخرى تطرح إشكاليّة أهليّة الصحفيّ وتبوئه للمنصب؛ ومبعث ذلك أن معظم الصحفيين غير مُنْتَخَبِين ولا مُعَيَّنين حسب الكفاءة، لذا "يبدو أن السلطة الرابعة كونها على العكس من الثلاث الأخرى [السلطات التّنفيذيّة، والتّشريعيّة والقضائيّة] بِيَدِ أفرادٍ غير منْتَخَبِين ولا معيَّنين لكفاءتهم تخالف بدون شك مبدأ الديموقراطيّة "[12].

وبذا فعدم كفاءة الصحفيّ، أو قلّة تمرّسه، تجعلانه يعبث بالأداء اللغوي، وتَحْصُلُ له سقطات لغويّة، تمجّها النفوس التّائقة إلى أداء راقٍ، وناءٍ عن العثرات والزلات؛ ومبعث ضرورة الاهتمام بجوانب اللغة المختلفة، أنّ المتلقّي تَرْسُخ في ذهنه طرائق التّعبير، وما يُنتقَى من مفردات ومصطلحات هو بصدد استماعها أو قراءتها، وغير خاف لما للخطاب الصحفيّ من تأثير كبير على المتلقّي؛ لذلك وجب مراعاة الجانب اللغويّ خلال الأداء الصحفيّ سواء كان مكتوبا أو مقروءً.

4-تأثير الخطاب الصحفيّ في الارتقاء باللغة: بقدر ما قد تكون لوسائل الصحافة تأثيرات سلبية في بثّ خطابات تنزاح عن السلامة اللغويّة؛ فلا يمكن نكران ما أزجته الخطابات الصحفيّة للغة العربيّة من مزايا وفضائل، "ومن يطالع الصحف العربية ويقابل قديمها بحديثها ينبسط لديه تاريخ الإنشاء الصحافي وَتَدَرُّجِهِ في الارتقاء، كان في أوّل أمره [...] من ركاكة الإنشاء، ثم أخذ يتدرج في أسلوبه وألفاظه حتّى صار إلى ما هو عليه الآن"[13]، كما لا ينبغي نسيان أنّ المنابر الإعلاميّة، تقدِّم خدمات جليلة للثقافة واللغة العربيتين في الآن ذاته. ويتجلّى ذلك من خلال توظيف العربيّة الفصحى في الرسوم الكرتونيّة، والمسلسلات التّاريخيّة، والشرائط الوثائقيّة، والورقات الإخباريّة، والحصص الدينيّة، والبرامج الثقافيّة...الخ. والصحافة المكتوبة تروّج للعربيّة يوميّا، وسط تداول طاغ للمحكيّات الدارجة؛ فينشأ

الأطفال على تداول الفصيح من العربيّة، لأنّهم بطبعهم يقلّدون ما يقع عليه سمعهم، فَيَرْسُخ في أذهانهم وتلهج به ألسنتهم. ولابأس من التّنويه في هذا السياق أنّ الصحافة العربية، تجشّمت الأدوار الطلائعيّة في نهضة العربيّة، لما بثّته من نَفَسٍ جديد في التّعبير عن المصطلحات المستحدَثة؛ إذ أسهمت في إقحام العديد من التّسميات والمفاهيم والاصطلاحات، التي لم يكن قد عهدها العرب من قبل.

إنّ الخطاب الصحفيّ لديه المقدرة على الارتقاء بمستوى العربيّة بشكل كبير، إذا ما روعيت الجوانب اللسانيّة المتعلقّة بلغة الضاد، من إلقاء جيّد يُعطي الأصوات حقّها في النطق من مخارجها، بحيث يتحقّق أداء سليم، ومن احترام دائم لآلة النّحو؛ فلا يكون المنجز الكلامي معوج الأسس والإعراب، ولا يمرق عن الأصول المتعارف عليها، بتحاشي الوقوع في الأخطاء والغلطات، وحِرْصٌ من هذا القبيل من شأنه الإسهام في تحقيق تداول كلاميّ موافق لنواميس اللغة، وموائم لجماليّة الأسلوب وسلاسته.

ومن المعلوم بالضرورة أنّ مزية الصحافة أنّها غدت وسيلة تسترعي انتباه القارئ والمشاهِد، حتى إنّها وُسِمت بالوسيلة الثقيلة، تبعا لدورها القوّي في توجيه الرّأي، وبثّ الفكر، واستثارة العواطف. فوسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ووسائطها التّبليغيّة، تمثّل دور البّاث، أمّا الجماهير العريضة، فتشكّل دور المتلقّي للخطاب الصحفيّ؛ لذا بات من اللازم إيلاء وفير الاعتناء بالمسألة اللغويّة، لأنّ الناظر في متن الخطاب الصحفيّ، يجد فيه قطاعات كلاميّة من مفردات وعبارات تأتي مكرورة، ويحدث أنْ يتلقّف المتلقّي المنجز الكلامي على عواهنه؛ فيعاود استعمال ما بُثَّ إليه، ويوظّفه بدوره في سياقات تداوليّة أخرى. وإذا كانت نوعيّة اللغة المستعمَلَة إعلاميّا تتّسم بالجودة؛ فما من شكّ أنّ مستوى اللغة الرفيع سيترك أثرا إيجابيّا في الذهن، سواء كان المنجز الخطابيّ مقروءً أو مسموعا، لا سيما إذا توسّلت بالشّعر، والأمثال والحكم، فسيضفي عليها هذا التّنويع الاستشهاديّ جاذبيّة وألقا، وسيخلّف انطباعا حسنا لدى المتلقّي؛ "ذلك أنّ الإعلام يمثّل إعلانا يوميّا عن حضور العربية في المشهد العربي بل في الفضاء الكوني"[14].

5-تّأثير الخطاب الصحفيّ في النسق التّعبيريّ: أثر التّرجمة: ومن منطلق أنّ الصحافة كانت دخيلة في الوطن العربي ووافدة من تأثيرات النّهضة خلال القرن التّاسع عشر؛ فحدث أن استلهمت خصائص التّصفيف الطباعيّ للجرائد والمجلّات الغربيّة، وتعدّى الأمر ذلك أن حاكى الصحفيون العرب ميزات وخصائص أساليب الألسنة الغربيّة، ونهجوا على منوالها، تأثّرا بخلفياتهم اللسانيّة الأجنبيّة، وبدفع من نشاط التّرجمة، التي حذت حذو الأنساق التّعبيريّة الغربيّة، ونسختها نسخا؛ فاحتضن المعجم العربي إذ ذاك طائفة غير هيّنة من المفردات والمصطلحات المقترضة والمعرّبة من اللغات الغربيّة، ومن ذلك:

"أشغال التهيئة الحضرية تسير عن طريقة سياسة **البريكولاج**"[15].

في المتواليّة السابقة، ترد مفردة "بريكولاج" مدمجة في النسق التّعبيري، وهي وافدة من اللسان الفرنسي، وهي تعريب لكلمة "bricolage" وفي هذا السياق

معناها التّرقيع. هذا، وتتسلل كذلك طائفة من التراكيب وكذا المتواليات الخطابيّة، ونماذج من طرائق التّعبير، ذوات الأصول الغربية إلى العربيّة من طريق المنجَز الصحفيّ، ومن ذلك مثلا:

-"مشروع التحالف الإسلامي **يسقط في الماء**"[16]

-"بعد النجاح الباهر الذي حققته **تمهيديّة** اليمين"[17]

-"قام باستغلال بعض الشركات الوهميّة في **جنان ضريبة** (بلدان لا تفرض الضرائب على الدخل)"[18]

إنّ المتأمّل فيما سيق من متواليات خطابيّة، يلمح ما نجم عن تأثير التّرجمة على مستوى الإنجاز الكلاميّ الصحفيّ في العربيّة، بدفع من آليات النقل بين اللغوي (transfert interlinguistique) من قبيل الاقتراض، ومحاكاة تعابير صيغت في العربية على منوال قولبتها الأجنبيّة الأصل. فعبارة "يسقط في الماء" هي التّرجمة بالمحاكاة لعبارة: "tomber à l'eau"، والتي تعني الفشل أو التخلّي عن هدف ما. وعبارة "تمهيديّة" هي لفظة مولّدة في العربيّة، تحاكي المفردة: "les primaires"، وتتمثّل في انتخابات أوّليّة يجريها حزب سياسي ما، بحيث يَنْتَخِبُ المنتمون إليه والمناضلون فيه مرشّحهم للرئاسيات، وهي سنّة يجري بها العمل في أمريكا وفي دول أوربية مثلا. أمّا عبارة "جنان الضريبة"؛ فهي أيضا ترجمة بالمحاكاة للعبارة الفرنسية: "les paradis fiscaux"، وقد ورد تفسيرٌ لها في متن المتواليّة الخطابية بين قوسين، فيما نصّه: "بلدان لا تفرض الضرائب على الدخل".

ومن ثمّ، لقد غذّت الصحافة اللغة العربية بمواد لسانيّة غزيرة؛ فتطوّر المعجم العربي بألفاظ ومصطلحات وافدة من سياقات غربية، وكذلك بفضل تراكيب متأتيّة من ترجمات، مصدرها اللغات الفرنسية والإنجليزيّة على وجه الخصوص؛ فالتّماس بين اللغات يحدث تفاعلات على المستويين المعجمي والسياقيّ، و"التداخلات تكون أكثر في المعجم ومتوسطة في النحو وهامشيّة في الصواتة"[19]. وغدت قطاعات كلاميّة غربيّة الأصل جزءا من النتاج الخطابيّ الصحفيّ، والكثير من المصطلحات تأتي واردة من واقع أجنبي عن العربيّة، ومنها ما تسلّل حتّى في خطابات تمسّ حقولا معرفيّة أخرى من قبيل السياسة، والاقتصاد، والرياضة، وحتّى الأدب. وما شاكل هذه التفاعلات بين اللغات الغربيّة والعربيّة من طريق التّرجمة، ينمّ عن مدى تأثير الخطاب الصحفيّ في نقل مفردات وعبارات وافدة من أنظمة لسانيّة غربيّة، وترويجها في الكلام العربيّ، حتّى باتت تُستعمَل دون وعيّ بمصدرها الأجنبيّ. "وغير خاف أنّ طائفة من التعابير المنقولة من طريق محاكاة صياغة اللغة الأجنبيّة، قد صارت رائجة التداول في العربيّة، حتّى إنّه قد يغيب عن أذهان الكثير من ناطقي العربيّة أنّها عبارات أجنبيّة الأصول"[20]. وإذا كان هناك من بدّ في التوسّل ببعض المقترضات والتعابير المحاكيّة للمتواليات في نظامها الأصلي، بدافع غياب المقابل، أو لعدم توافر الصياغة الدقيقة في العربيّة؛ فينبغي الإقرار بأنّ طائفة غير هيّنة من المفردات والعبارات، ذوات القولبة الدخيلة، يمكن تعويضها في العربيّة بدون أدنى حرج.

6-تأثير الخطاب الصحفيّ في موقف المتلقّي: صحيح أنّ وسائل الإعلام تحاول بقدر الطّاقة "ضمان وظيفتين رئيسيتين: الإعلام والتّسليّة"[21]، بيد أنّ الواقع يثبت أنّ الصحافة لا تتقيّد دائما بمبدأ الحياد، نظرا لحساسيّة بعض المسائل المطروقة، ونظرا لأنّ وسائل الإعلام يديرها رجال المال والأعمال، أو أنّها تأتمر بأوامر السلطة الحاكمة، أو تخضع لميولات من يتقمصّون قطب المعارضة السياسيّة، كما يمكن أن تكون الجهة المُسَيِّرة ذات توجّه عقديّ أو مذهبيّ أو عرقيّ. ومن ثمّ، مهما كانت درجة النزاهة والحياد المعلنة، تبقى وسائل الإعلام تابعة، وتحاول إذ ذاك التّأثير في نطاق أفكار وميولات المتلقّي بطريقة أو بأخرى؛ فوسائل الإعلام هي التي تحدّد الموضوعات المطروقة، وترسم حدود النقاش، وتوظِّف طائفة بعينها من المصطلحات والعبارات.

وينزع الخطاب الصحفيّ إلى استمالة المخاطَب، واستثارة استجابته، لا سيما بما توظّفه من لغة تدنو إلى رواية الحدث، وسرده بصورة تجذب المتلقّي جذبا، وبهذا المعنى، "من المفروض أن يثير الحكي انتباه المشاهد أو المستمع بدل من أيّ شكل آخر من أشكال الخطاب"[22]؛ فالحديث عن كتاب ما أو فيلم سيدفع القارئ أو المشاهد إلى رغبة في اقتناء الكتاب أو التوجه إلى السينما لمشاهدة الفيلم. وبهذا المعنى، لا يمكن القول بأنّ الخطاب الصحفيّ بريء من أيّة دعاية، أو أنّه يتحرّى ضربا من موضوعيّة مثلى. ومن تجليّات تأثير الخطاب الصحفيّ في المتلقّي ما يردّده الأطفال بعد مشاهدة الرسوم الكرتونيّة؛ إذ غالبا ما يقلدّون العبارات التي سمعهوها ورسخت في ذاكرتهم، بل حتّى الكبار قد يعاودون قطاعات كلاميّة شدّت انتباههم في وسائل الإعلام، قد تجيء في صورة أقوالٍ واستشهادات علقت في أذهانهم، أو مجتزءات خطابيّة ترسبّت في فكرهم؛ ولذا "إنّ المناخ الثقافي والفني والإعلامي الذي يعايشه الإنسان طفلا وصبيا ويافعا ورجلا يؤثر تأثيرا بالغا على تشكيل عقله وتفكيره"[23].

وفيما يتصّل بحصول الاستجابة، قد يتغيّر سلوك المرء تحت وقع الآلة الثقيلة لوسائل الإعلام، ومضامين خطاباتها، وَإنْ بعد حين؛ فالتّأثير لا ينجم مباشرة بعد تلقّي الخطاب، وإنّما قد يتمخّض بعد زمن متوسّط أو طويل. ويلعب الخطاب الصحفيّ دورا خطيرا، من ناحيّة توجيه الرّأي العام وشحنه بتوجهات عقديّة، ودينيّة، وثقافيّة، ومن ذلك ما ورد في صحيفة **(الخبر):**

"وقد استغلّت الحكومة إذاعة القرآن الكريم ... لغرض نزع فتيل الخطاب الدينيّ المتطرف"[24].

وتبعا لتوظيف الدين أحيانا من وجهة اختزاليّة ضيّقة تدعو إلى التطرّف، وقد تتعدّاه إلى ممارسة العنف؛ فإنّ السلطات الحاكمة تجد نفسها مضطرّة إلى الاستنجاد بوسائل الإعلام وخطاباتها لدحر الفكر المتطرّف وتقليص دوائره. وبعد أحداث 11 سبتمبر، أصبحت بعض نتاجات السينما، ووسائل الإعلام الغربيّة، بما يتمخّض عنها من خطابات صحفيّة، تروّج عن قصد أو من دون قصد إلى الخلط بين الإرهاب وربطه بالإسلام والمسلمين، ما طرح مفهوم الإسلاموفوبيا، ونحن نعلم أنّ "الغرب -

وبخاصّة الولايات المتحدّة-يُهيمِن على الإعلام العالمي"[25]، وقد تستحيل وسائل الإعلام إلى محرّض إلى تبنّي أنماط معيّنة من السلوك والأفكار، و"إنّ التاريخ يخبرنا أنّ البشر لم يحبّوا بعضهم البعض كثيرا، حتّى قبل اختراع التلفزيون الذي جاء [...] ليولّد السلوكيات العنيفة التي نرتكبها [...]، والصغار الذين يغرقون في ساعة بعد أخرى في العنف التلفزيوني يصبحون متبلّدي المشاعر في مواجهة الألم والقتل، ويتعلّمون أنّ مدخل القوّة هو أفضل حلّ لأيّة مشكلة"[26]. وبذا، قد تغدو وسيلة الإعلام آلة تحدّد نمط السلوك، وطبيعة الموقف الواجب تبنّيه. والخطاب الصحفيّ يتمتّع بتأثير على القلوب والعقول؛ فيشحذ المشاعر، وينمّي التّفكير. والمتلقّي قد يستجيب ويتفاعل لما يستقبله من رسائل إعلاميّة بما لها من إيجابيات، وما عليها من سلبيات. ومن الإيجابيات ما تقدّمه البرامج الثقافيّة والتاريخيّة والوثائقيّة من معلومات تجعل المتلقّي يتثقّف، ويثري دائرة مداركه، ويطوّر رصيده المعرفيّ.

7- آليات تحقيق الوظيفة التّأثيريّة:

1.7. الإثارة والمبالغة: يتوسل الخطاب الصحفيّ في أحايين كثيرة بالمبالغة الشديدة في معالجة موضوع من المواضيع، أو في نقاش مسألة تشغل بال المتتبعين؛ فيلعب الصحفيّ على وتر الإثارة لجلب الانتباه والتتّبع، ولتحقيق تأثير في نفسيّة المتلقّي، لاسيما في ظل جوّ من المنافسة الضاريّة بين القنوات التلفزيونيّة، والصحف الورقيّة. ففي تاريخ 13 أكتوبر 2016، عالجت قناة جزائريّة إخباريّة نبأ وقوع مناوشات بين عرشين في إحدى الولايات الجزائريّة، لكن الصحفيّ أصرّ على توظيف مصطلح "الحرب"[27]. وما من شكّ أنّ استعمال المفردات في غير محلّها، أو في مقام هو أكبر منها، وانتقاء مصطلحات من شأنها أن تستفزّ المُشاهِد أو القارئ، قد يستحيل إلى غاية في حدّ ذاتها، وإلى هوس مصاحبٍ للبّاث/الصحفيّ، وذلك لكسب اهتمام المتلقّين/الجماهير، وإحراز أقساط من المتابعة، وخَلْق تأثيرٍ ما خلال تلقّي المعلومة أو الخطاب. ولبلوغ هذا المسعى، تغدو الدلالة مطيّة يراهن عليها الخطاب الصحفيّ عموما لاستمالة القارئ أو المشاهد؛ "وينبغي أيضا أن نتكلّم عن الشطط الدلالي، ذلك الإجراء الذي من خلاله تشير المصطلحات المستعمَلة إلى خلاف الحقيقة، وبذا بدل الإضراب يقال الحركة الاجتماعيّة، وبدل تسريح العمّال الجماعي يقال مخطط اجتماعي"[28]. إنّ التلاعب بتسميّة الأشياء بمسميّاتها، لا يعكس البتّة وجه الحقيقة، وكأنّ الخطاب الصحفيّ، يحاكي بدوره طبيعة الخطاب السياسيّ، وما يتّسم به من تلاعب لغويّ وتهرّب عن توليد خطاب يتّسم بالمباشَرة والمصارَحة؛ إذ من المفارقة أن تعيب الصحافة على الخطاب السياسيّ الدوغمائيّة، واللّف والدوران، وتنعت متنه الخطابيّ عادة بلغة الخشب، وفي الوقت نفسه يتّكئ الخطاب الصحفيّ أحيانا على الأساليب الاتصاليّة واللغويّة التي ينتهجها الخطاب السيّاسيّ.

ولعلّ الخطاب الصحفيّ يُعَدُّ من أبرز ضروب الخطابات المحشوّة بألفاظ وتعابير تنمّ عن رغبة في شحذ فتيل الإثارة اللغويّة، وجعل الخطاب يطفح بالمبالغة إلى حدّ حمل السياق اللغويّ إلى حدود تدنو إلى التّعميم والغلو التّعبيريّن. ومن ذلك السياقات المختارة الأتيّة:

-**"شرطي سابق** يبيع مساكن **"السوسيال"** ب 40 مليونا"[29]
-**"أسّس** مع موظفات في بلديات بالعاصمة ومفتشة ضرائب **"جمهورية موازية"**[30]
-**"شاهد مشافش حاجة"** يتلقى 400 مليون عن كل شهادة تزوير"[31]

فمن باب الإثارة، تنطوي المتواليّة السياقيّة الأولـــى على تورّط شرطي سابق، -مع ما يوحي إليه المنصب من رمز لخدمة الدّولة واحترام القانون-، في بيع مساكن، وورد توصيفها بمفردة تنتمي إلى السجّل المحكيّ "السوسيال"، ولئن كانت مقترضة من الفرنسيّة، وكان بالإمكان توصيفها بالمساكن الاجتماعيّة، لكن الالتجاء إلى المستوى اللهجيّ يثير انتباه القارئ، لا سيما وأنّ الأسعار التي اقترحها المتّهم كانت زهيدة، فكل هذه المكوّنات النسقيّة وما تحيل إليه من دلالات من شأنها أن تجذب فضول القارئ لتتبّع محتوى العنوان، الذي ورد بالمناسبة في واجهة الصحيفة.

ونقرأ في المتواليّة الثانيّة مدى حجم نفوذ الشرطي المتهّم ببيع المساكن، إذ كانت له علاقات مستحكمة في إدارات حسّاسة من شاكلة البلديات ومصالح الضرائب، حتّى إنّه قد "أسّس جمهوريّة موازيّة"، وتوظيف هذا التّعبير لا يخلو من مبالغة، وذلك لاستقطاب المتلقّي واستنفار دهشته، إزاء شرطي غير مزاول لأيّ منصب، ومدى مقدرته على بسط شبكة علاقات متينة، ضارعت شيئا من نظام إداري موازي، وَسَمَهُ البّاث "بجمهوريّة موازية".

أمّا المتواليّة الثالثة، فيردُ فيها توصيف أحد المتورطين بأنّه "شاهد ماشافش حاجة"، وهو عنوان لمسرحيّة مصريّة مشهورة، وفي هذا التّوظيف المنتمي للسجّل المحكي شيء من التهكّم، تبعا لاستعمال الفعل المضارع "يتلقى"، ولكأنّ الفعل مازال قائما مفعوله، وتكمن الإثارة كذلك في حجم العمولات التي يتقاضاها؛ فالمبالغ الماليّة المقدّمة نظير كلّ شهادة مزوّرة تُعَدّ خياليّة ومرتفعة.

وفي أحايين كثيرة، يعوّل الخطاب الصحفيّ على جانب الإثارة، بغية استقطاب المُشاهد أو القارئ، ويحصل أن يتجاوز البّاث الحقيقة، إذ تتطلّب الإثارة التّلفيق، والخروج عن المألوف استنادا إلى جانب من الخيال المجنّح، وهذا الضّرب من الخطاب الصحفيّ "لا [يولي] قيمة للحقائق الثابتة والمعلومات الصادقة والأرقام الصحيحة، بل المهم فقط إثارة اهتمام القارئ بأية وسيلة حتّى لو كانت على شكل توقعّات كاذبة أو أخبار ملفقة أو قصص وهمية أو دغدغات رخيصة للمشاعر، وذلك كلّه بهدف بيع أكبر عدد من النسخ، ولتحقيق مزيد من الربح"[32]، وزائدا إلى هذا كلّه، قد يحصل التّأثير بصورة غير مقصودة من طريق عدم تمحيص صيغ الخطاب تمحيصا كافيّا، فكلّ استعمال خطابيّ يتّسم بوقع خاصّ حسب قوّة المفردات، وإمكانيّة تأويلها، وحدّة نبرتها. ومن ثمّ، فممارسة رشح دقيق لكلّ ما يذاع ويدوّن يندرج في نطاق مسؤوليّة البّاث القائم على تحرير أو بثّ الخطاب الإعلاميّ، "وهذه مسؤولية تتطلّب العمل الجاد والمتجدّد، مع ضرورة مشاورة أهل الاختصاص"[33].

2.7. التأثير بتوظيف مفردات تحيل إلى العنف: لا غرو أنّ عالمنا اليوم يطفح بأعمال العنف، وتفاقم الصراعات، وتأجّج بؤر التوتر، واشتعال الحروب، واندلاع التّرهيب بين الفينة والأخرى في شتّى مناطق العالم، في غربه وشرقه، شماله وجنوبه. وغدت مصطلحات الحرب والعنف طاغيّة في الخطاب الصحفيّ، تبعا لتعاطي وسائل الإعلام مع الحدث أو الخبر الأمنيّ، والتّركيز عليه في أحايين كثيرة بغية استقطاب الانتباه. ولذا، ففي سياقنا هذا، نقصد بالمفردات المحيلة إلى العنف، ما يتوسّل به البّاث من ألفاظ وعبارات دالة على العنف والقوّة، للحديث ربما عن موضوعة لا علاقة لها بالحروب والمعارك.

وبما أنّنا نسلّط الضّوء على المنجز الصحفيّ الجزائريّ، فقد كانت الجزائر من الدول التي اكتوت بنار العنف وتداعياته إبّان سنوات التسعينيّات؛ فراجت في الاستعمال الكلاميّ مصطلحات وعبارات متعلقّة بالأحداث المأساويّة التي ألمّت بالجزائريين من شاكلة: (المأساة الوطنيّة، العشريّة السوداء، الإرهاب، المجازر، الاغتيالات، الضحايا، تفجيرات، التائبون، شخص مشبوه، مصالح الأمن، حظر التجوّل، وحدات الجيش...). ولا ريب أنّ العشرية الصّعبة التي مرّ بها البلد، تركت أثرا وتأثيرات، ليس فقط على المستوى النّفسيّ والمعنويّ للجزائريين، ولكن كذلك على المستوى المعجميّ، والمنجز الخطابيّ، ومن ذلك تسميّة ما تخلّفه حوادث الطرقات من ضحايا: "إرهاب الطرقات"، ولم يقتصر الأمر على تنقّل مصطلح الإرهاب وتوظيفه في مجال السياقة وأمن الطرقات، بل تسرّب إلى ميادين أخرى، ومن ذلك نسوق طائفة من المتواليات الخطابيّة، وردتْ في بعض الصحف، لنتبيّن تواتر مصطلح الإرهاب في حقول متفرّقة:

-"**إرهاب العيادات**: تذهب للعلاج فتكتشف أنّ كليتها مفقودة"[34]

-"الداخلية تقضي على **"الإرهاب الاداري"**[35]

-"من **إرهاب الطّرقات** إلى **إرهاب الشواطئ**"[36]

إنّ المتبصّر في السياقات الآنفة الذكر، يلحظ تعدّد توظيفات مصطلح "الإرهاب" وما يحيل إليه في الأصل من عنف، ودمار وترويع. وأضحى الخطاب الصحفيّ يُقْرِنُ وقوع الضحايا بالإرهاب، ولئن لم يكونوا ضحايا أعمال تفجير، أو قتل عمدي بالأسلحة البيضاء أو بالأسلحة الأوتوماتيكيّة، وما من شكّ أنّ مصطلح الإرهاب قد علق بالأذهان، لما حمله من صور فاجعة وصادمة، وأحداث تقتيل وحشيّة، وأعمال استعراضيّة خطيرة، هدّدت وجود الجزائريّ في كيانه. ونقرأ في الخطاب الصحفيّ أنّ تفشّي الأخطاء الطبيّة، وما تفرزه من تداعيات تراجيديّة، يُعبَّرُ عنه: "إرهاب العيادات" أو "إرهاب المستشفيات"، أمّا البيروقراطيّة التي أنهكت المواطن البسيط، وتحمّل إصرها لفترات طويلات، فغدت تُنعت: "الإرهاب الإداري"، وانتقل المصطلح حتّى إلى شواطئ البّحر، تبعا لما تخلّفه الدراجات المائيّة (الجات سكي) من ضحايا في عرض البّحر، بعدما كانت حوادث المرور مقتصرة على حركة الطرقات البريّة -وما ينجرّ عنها من قتلى وجرحى – إذ لطالما وُسِمَتْ: "إرهاب الطرقات".

والتوسّل بالمصطلحات المحيلة إلى العنف، من شاكلة توظيف مصطلح الإرهاب وربطه بعديد الميادين، لم يقتصر على الصحافة الجزائريّة فقط، وإنّما تجلّى حتّى في الصحافة العربيّة والعالميّة؛ فتمّ تداول: "الإرهاب الرياضي"، لما يعبَّر به عن عنف الجماهير المشجّعة لفريق أو ناد، وما تمارسه من عنف داخل الملاعب أو خارجها. واستعمِل المصطلح كذلك في عبارات مثل: "الإرهاب البيئيّ"، وقد أطلقته الصحافة الأمريكيّة، خلال حرب الخليج الأولى، بعد انسحاب جيش صدّام حسين من الكويت، وحرق جنوده لآبار النّفط؛ فَعَدَّتْ الإدارة الأمريكيّة والصحافة آنذاك هذا التصرّف تخريبا عمديّا، وَسَمَتْهُ بالإرهاب البيئي. ويقال كذلك: "الإرهاب الثقافي" ويعني مذهب متعصِّب من المذاهب، أو تيّار متطرّف، كما طال الارهاب فضاء الشابكة، وشاعت تسمية: "الإرهاب الإلكتروني" ومدلولاته تشمل الجوسسة الرقميّة، والقرصنة، والاختراق. ولما استفحل تهريب الممنوعات وتنوقلت من بلد إلى آخر، أصبحت تطلق عبارة: "إرهاب المخدرات". وإنّ مثل هذه العناوين تتصدّر الصحف، وتُكتَبُ بالبنط العريض، وهذا ما ينمّ عن ملامح العصر الموسوم بالحروب والصراعات والعنف الحسّي؛ فتسرّبت مفاهيم العنف ومفرداته في الخطاب الصحفيّ، إذ إنّ توظيف مصطلح الإرهاب في غير سياقه الأمني، يكسي الخطاب وزنا وإثارة وحمولة قوّية، بغضّ الطّرف عن إيجابية الاستعمال أو سلبيته.

ومن فرط التداول المسرف لأخبار العنف وصور الدمار والتطاحن، غدا العنف موضوعا مبتذلا، وتواتر توظيف الألفاظ المستقاة من معجم القوّة، والحرب، والفتك والضرواة، وانقلب الخطاب الصحفيّ إلى متن كلاميّ عامر بعبارات تعكس سياقات اجتماعيّة خاضعة لدلالات القوّة؛ فتجيئ إذ ذاك العبارات والأساليب طافحة بالدوال المحيلة إلى مفهوم العنف. وقد يسعى الخبر الإعلاميّ من وراء هذا التّوظيف إلى استثارة العاطفة، وإيقاد الاستجابة في نفسيّة المتلقّي، ولنتأمّل عيّنة من السياقات الخطابيّة الدّالة على تأثّر لغة الخطاب الصحفيّ بمعجم الحرب:

-"**سنفجّر** فضائح ثقيلة وسنكشف أسماء كبيرة"[37]

-"أموال الخدمات **"تفجّر"** أزمة جديدة بين النقابات وبن غبريت"[38]

-"سليماني **يشعل حربا** فايسبوكية بين الجزائريين والاوربيين"[39]

-"انقطاع مفاجئ للتيّار الكهربائي يحدث **حالة استنفار قصوى** بحي شوبو"[40]

نلاحظ توظيفا يكاد يصير مبتذلا لألفاظ وعبارات من قبيل: "فجّر"، "أشعل حربا"، "حالة استنفار قصوى"، وهي متأتيّة من معجم الحروب والصراعات الضاريّة. ونظرةٌ إلى جملة النعوت الموظّفة في نسق المتواليات المذكورة، تفصح عن قصديّة أكيدّة في خلق جوّ لغويّ يتّسم بالإثارة، بغية إحداث أثر في القارئ، وجلب انتباهه؛ ففي المتواليّة الأولى ينزاح مفهوم التّفجير من نطاق القنابل والعبوّات الناسفة إلى تفجير "أزمة جديدة" مما يوحي بتفاقم الأزمات وتراكمها، والمتواليّة الثانيّة لا تخلو من مبالغة؛ فيبدو أنّ لاعب كرّة قدم قادرٌ لوحده على إيقاد حربٍ افتراضيّة بين الجزائريين والأوربيين، مع كل ما في هذه الصياغة من مبالغةٍ وتعميم، ومن استعمال للفعل المضارع بغية إعطاء الخبر سمة الديناميّة، والوقوع

الرّاهن والاستمراريّة. أمّا العبارة الثالثة، فقد أضيفت إلى "حالة الاستنفار" توصيف "قصوى"، للدلالة على الحالة غير العاديّة التي عرفها الحيّ من جرّاء انقطاع التيّار الكهربائي، علما أنّ النفير العام، يُعْلَنُ خلال نشوب الحروب.

خاتمة: يتبيّن من خلال هذا العرض أنّ الخطاب الصحفيّ غدا خطابا يتمتّع بمكانة مركزيّة اليّوم، فوسائله عديدة، وأضحى يتأقلم مع معطيات الشابكة وما توفرّه له من قنوات اتصال وتواصل، وهو ينقل مضامينه ويمارس -ولئن بنسب متفاوتة - تأثيرا في المتلقّي. وإنّ طبيعة اللغة الموظَّفَة صحفيّا، قد تترك أثرا لسانيّا في المتلقّي بالإيجاب أو السلب؛ فالخطاب المتقيّد بنحو اللغة ونواميسها من شأنه أن يرقى من حظوة اللسان، أمّا الخطاب المرتجل، والمترع بالأغلاط وغير المنضبط وفق دائرة السلامة اللغويّة، فقد يؤثّر بالسلب في المستوى التّعبيري للمتلقّي.

وتأثير الخطاب الصحفيّ واقع حقّا وحقيقا فيما يخصّ إحداث تفاعلات لسانيّة في اللغة، ونظرا لدرجة تداول الخطاب الصحفيّ وشيوعه، فإنّه يقحم قطاعات كلاميّة محكيّة، ومقترضات مستقاة من اللغات الأجنبيّة؛ فالتّرجمة تنقل مفردات معرّبة ودخيلة، وتسوق في نطاق العربيّة صيغا تعبيريّة تحاكي متواليات خطابية من الألسنة الغربيّة مثلا.

وهناك وجه آخر لتأثير الخطاب الصحفيّ في موقف المتلقّي، ومفاده أنّ متون الخطابات الصحفيّة تسير في فلك توجهّات الوسيلة الإعلاميّة سياسيا وثقافيّا، ما قد يجعل المتلقّي يتبنّى أفكارا أو مشاعرَ، لمّا يتفاعل مع ما يساق له من منجز كلاميّ صحفيّ، ودعاية، وإشهار. وبهذا المفهوم، فالخطاب الصحفيّ ينطوي على تحيّزات وميولات، تروم في غالب الأحايين تغيير سلوك المتلقّي أو حمله على تبنّي مواقف معيّنة.

وتراءى أنّ المنجز الخطابيّ يتأثّر بالسيّاق الاجتماعيّ، ومعطيات الواقع، ويستلهم مفرداته وتعبيراته مما هو سائد من أحداث ووقائع؛ فاللغة ترتبط بالرّاهن وتقحمه في نسق توليد المعاني، وتجديد الأساليب والتراكيب. ويتوسّل الخطاب الصحفيّ بآليات من شاكلة الإثارة، والمبالغة، ويستنجد بمفردات تتّسم بانتمائها لحقل الحرب والصراع. ولمّا يسود العنف ويضرب بأطنابه، فإنّ البّاث يتّكئ على معجم مستمدّ من الحقل الدلالي للحرب. وكلمّا تأثر الكلام بواقعه الرّاهن، كلما شدّ ذلك انتباه المتلقّي، تبعا للإسقاطات اللغويّة التي يتعمّد البّاث تضمينها في منجزه الصحفيّ، ولئن بوفير مبالغة وبتجوّز واسع، وذلك من أجل التّأثير في المتلقّي.

الهوامش

* دكتور من جامعة ليون، مختّص في التّرجمة، وتعدّد اللغات والمصطلحيّة.

1 – جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013م، ص 1233.

2- عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1985م، ص 27.

3- جرجي زيدان، مرجع مذكور، ص 1234.

4- جرجي زيدان، نفسه، ص 1471.

5- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 41، 2005م، ص 3.

6- باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر مهيري وحمادي صمّود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص 304.

7- Antoine Auchlin & Jacques Moeschler, *Introduction à la linguistique contemporaine*, Armand Colin, Paris, 3ème éditions, 2014, p. 160. « La communication est un processus visant à transmettre, d'une source à une destination, un message via un code ».

8- Jean-François Dortier, *Dictionnaire des sciences humaines*, Editions Sciences Humaines, Auxerre, 2004, p.396. « La fonction conative vise à produire un changement chez l'interlocuteur (je te bénis) ou (sors d'ici) ».

9- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي، شبكة الألوكة، نسخة رقمية، 2015م، ص 41.

10- جان كلود برتراند، أدبيات الإعلام: ديونتولوجيا الإعلام، ترجمة رباب العابد، مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008م، ص 16.

11- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي: دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2005م، ص 25.

12- جان كلود برتراند، مرجع مذكور، ص 36.

13- جرجي زيدان، مرجع مذكور، ص 1470.

14- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيّم الثبوت وقيّم التحوّل، دار الشروق، عمّان، ط1، 1428 هـ-2007م، ص 114.

15- جريدة البلاد، يومية جزائرية، العدد: 5181، تاريخ: 2016/12/4، ص 8.

16- المصدر نفسه، الافتتاحية.

17- المصدر نفسه، ص 10.

18- المصدر نفسه، ص 14.

19- Nadia ANGHELESCU, *La langue arabe : une perspective typologique*, Editura Universităţii din Bucureşti, Roumanie, 2004, p. 173. « Les interférences seraient

maximales dans le lexique, moyennes dans la grammaire et minimales dans la phonologie ».

20- محمد بسناسي، التفاعلات اللغوية في الخطاب الصحفيّ الجزائريّ، بحث قيد الطّبع، المغرب الأقصى.

21- Jean-François DORTIER, *Dictionnaire des sciences humaines*, Editions sciences humaines, Auxerre, 2004, p.538. « Les médias assurent deux fonctions centrales : informer et divertir ».

22- *Ibid*., pp. 539/540. « Le récit est censé suscité l'attention du spectateur ou de l'auditeur plus que toute autre forme de discours ».

23- عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد، الرأي العام والفضائيات: دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007م، ص 38.

24- جريدة الخبر، يومية جزائرية، تاريخ: 2016/6/4. أنظر الرابط:

http://www.elkhabar.com/press/article/106639/قد-الجزائر-في-الموازية-المالية-الأسواق/تمول-الإرهاب/#sthash.KUCiervv.dpbs

25- Taoufik BEN AMMAR, *The Language of Terrorism Al-Jazeera and the Framing of Terrorism discourse*, PhD of Philosophy, Georgetown University, Washington, 2009, p. 36. "The West and particularly the United States dominates the international media".

26- شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال: قضايا معاصرة، التأثيرات السياسية والاجتماعيّة لتكنولوجيا الاتصال، المدينة برس، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 282.

27- قناة النهار، محطّة جزائرية، تاريخ 13 أكتوبر 2016.

28- Wojciech PRAZUCH, « La phraséologie du discours politique sur la crise », pp 59-74, in : *Cahiers de lexicologie*, n°108, Olivier Kraif et Agnès Tutin (dir), Classiques Garnier, Paris, 2016, p. 71. « Il faut aussi parler de la subversion sémantique, procédé à travers lequel les termes employés correspondent à l'inverse de la réalité. Ainsi le mouvement social se substitue à la grève, le plan social aux licenciements massifs ».

29- جريدة النهار الجديد، يوميّة جزائرية، العدد 2795، تاريخ: 2016/11/29، الافتتاحية.

30- المصدر نفسه، الافتتاحية.

31- المصدر نفسه، الافتتاحية.

32- ياسر الفهد، مجلّاتنا العربيّة وفن التّحرير الصحفي، دار البشائر، دمشق، ط1، 1992م، ص 37.

33- سعاد بسناسي، السّمعيّات العربيّة في الأصوات اللّغويّة، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم (الجزائر)، ط1، 2012م.، ص 86.

34- http://tv.ennaharonline.com/shows/fi_el_wajiha/20417.html

35- جريدة البلاد، العدد 4783، تاريخ: 11 /2015/8، الافتتاحية.

36- جريدة الجزائر نيوز، تاريخ: 2009/7/25م.
http://www.djazairess.com/djazairnews/1505

37- جريدة البلاد، العدد 4701، تاريخ: 2015/5/5م، الافتتاحية.

38- المصدر نفسه، ص 5.

39- جريدة البلاد، العدد 4783، تاريخ: 2015/8/11، الافتتاحية.

40- جريدة صوت الغرب، يوميّة جزائريّة، العدد 3860، تاريخ : 2015/7/8

. المدونة:

- جريدة البلاد، يوميّة جزائرية، (العدد: 4701، تاريخ: 2015/5/5م)
- جريدة البلاد، يوميّة جزائرية، (العدد: 4783، تاريخ:2015/8/11)
- جريدة البلاد، يوميّة جزائرية، (العدد 5181، تاريخ: 4/12/ 2016).
- جريدة الجزائر نيوز، يوميّة جزائرية، (تاريخ: 2009/7/25).
- جريدة الخبر، يوميّة جزائرية، (تاريخ، 4 /6/ 2016م).
- جريدة صوت الغرب، يوميّة جزائرية، (العدد: 3860، تاريخ: 2015/7/8).
- جريدة النهار الجديد، يوميّة جزائرية، (العدد: 2795، تاريخ: 2016/11/29).